في حَرْق أسراب الجرادْ

في سَحْقِهِ،

في ذبحهِ حتى الوريدْ

هذي الرسالةُ، يا أبي، من بور سعيدْ

من حيث تمتزجُ البطولةُ بالجراح وبالحديدْ

مِنْ مصنع الأبطال أكتُبُ يا أبي..

مِنْ بور سعيدْ..

V ـ وفي مناسبة الحديث عن ترحيب سعيد عقل باجتياح الجيش الصهيونيّ للبنان، لا يسعنا إلاّ أن نتذكّر موقفَ شاعر لبنانيّ آخر هو المرحوم خليل حاوي الذي روت الصحفُ أنّه يومَ الاجتياح لم يتحمّل رؤيةَ الصهاينة يغزون لبنان على مرأًى من الأنظمة المستسلمة، فما كان منه إلاّ أن تناول بندقية صيدٍ كان يقتنيها وأَطْلق منها رصاصةً على رأسه فخرّ قتيلاً، فكان من أوائل الذين سقطوا احتجاجًا على اجتياح العاصمة العربيّة الأولى بعد القدس وعلى الضعف الذي وصلتْ إليه الأمّةُ في مقابل هذا الاجتياح.

أليست المقارنة بين موقفيْ شاعرينْ من لبنان، يَنْتمي أحدُهما إلى فكرة الانبعاث العربيّ، ويصرِّح الآخرُ بعدائه المكشوف للعرب والعروبة، أليست هذه المقارنة ذاتَ دلالةٍ عميقة؟ ألا يستحقّ موقفُ الشاعر خليل حاوي وسامَ التقدير، بينما لا يشكّل موقفُ سعيد عقل إلاّ وصمةً في جبين الشعر اللبنانيّ والعربيّ؟

VI ـ ولا أستطيع أن أنهي هذا الفصل عن الاجتياح الإسرائيليّ من غير أن أتذكّر ذلك المشهدَ الذي رأيتُه بأمّ عيني يومَ دخل الجيشُ الإسرائيليّ إلى أحياء بيروت ووصل في توغُّله إلى محلّة «عين التينة» التي كنّا ومانزال نسكن في إحدى بناياتها. فقد خرجنا ذلك اليومَ على أصوات جنود إسرائيليّين يطلبون من السكّان أن يَهْبطوا إلى الشارع حاملين ما كان لديهم من سلاح خفيف. ثم سمعنا إطلاق نار، وسمعنا صراخًا، وأنينًا طِفْلاً.

كانت الطفلة إيمان الخطيب، التي كان أهلُها الفلسطينيُّون يَقْطنون في الطابق الخامس من بنايتنا، قد رَجَتْ حارسَ البناية «أبو سميح» أن ترافقه لإطفاء مولِّد الكهرباء. وحين سمع أبو إيمان صوتَ ابنته الباكية هرع إلى السّلم، ثم سمعنا صراخًا رَجُلاً. ولمّا توقّف الرصاص نزلنا من بيوتنا. كان أبو سميح مرميّاً على الدَّرج، يَحْمل إيمان بين ذراعيْه. وكانت إيمان تودِّع بيروت، وهي تَقْضم تفاحةً ملوّثةً بدمها ودمه. وكان أبو صالح (أبو إيمان) مصابًا، لكنّه لم يمت شأنهما. وكان يَنْحني فوق إيمان، ويبكي.

كنتُ أتذكّر، ولا أزال، الطفلة إيمان كلّما استعدتُ مشهد محمّد الدّرّة وهو يَسْقط شهيدًا في حضن والده في فلسطين، والوالد يلوّح بيده محاولاً منعَ الجنودِ الإسرائيليّين من قتل ابنه، في ذلك المشهد الذي نشرتْه شاشاتُ العالم كلُّها يومذاك. ولم أشعر بالانتقام لإيمان الخطيب ومحمد الدّرّة إلاّ يومَ رأيتُ جيشَ شارون يَنْسحب من الجنوب تحت ضربات المقاومة التي حقّقتْ أوّلَ نصر حقيقيّ على العدوّ الصهيونيّ، مُثْبتةً أنّ «ما أُخذ بالقوّة لا يُستردّ بغير القوّة.»

بيروت

من موادّ العدد القادم من الآداب

■ ملف الرقابة العربية (١): اقرأ في هذا العدد الجزء الأوّل من ٤ ملفّات تتناول الرقابة في المغرب وسوريا ومصر لبنان.

اشترك، كي يصلك العدد!